وهي على هذا الترتيب ابتداء من برج مدخل فصل الربيع : الحمل الثور الجوزاء " مشتقة من الجوز " بفتح فسكون الوسط " لأنها معترضة في وسط السماء " السرطان الأسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدي الدلو الحوت .

فاعتبروا لبرج الحمل شهر " أبريل " وهكذا وذلك بمصادفة أن كانت الشمس يومئذ في سمت شكل نجمي شبهوه بنقط خطوط صورة كبش . وبذلك يعتقد أن الأقدمين ضبطوا السنة الشمسية وقسموها إلى الفصول الأربعة وإلى الأشهر الاثني عشر قبل أن يضبطوا البروج . وإنما ضبطوا البروج لقصد توقيت ابتداء الفصول بالضبط ليعرفوا ما مضى من مدتها وما بقي .

وأول من رسم هذه الرسوم الكلدانيون ثم انتقل علمهم إلى بقية الأمم ومنهم العرب فعرفوها وضبطوها وسموها بلغتهم .

ولذلك أقام القرآن الاستدلال بالبروج على عظيم قدرته وانفراده بالخلق لأنهم قد عرفوا دقائقها ونظامها الذي تهيأت به لأن تكون وسيلة ضبط المواقيت بحيث لا تخلف ملاحظة راصدها . وما خلقها ا بتلك الحالة إلا ليجعلها صالحة لضبط المواقيت كما قال تعالى (لتعلموا عدد السنين والحساب) . ثم ارتقى في الاستدلال بكون هذه البروج العظيمة الصنع قد جعلت بأشكال تقع موقع الحسن في الأنظار فكانت زينة للناظرين يتمتعون بمشاهدتها في الليل فكانت الفوائد منها عديدة .

وأما قوله (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فهو إدماج للتعليم في أثناء الاستدلال . وفيه التنويه بعصمة الوحي من أن يتطرقه الزيادة والنقص بأن العوالم التي يصدر منها الوحي وينتقل فيها محفوظة من العناصر الخبيثة . فهو يرتبط بقوله (وإنا له لحافظون) .

وكانوا يقولون : محمد كاهن ؛ ولذلك قال الوليد بن المغيرة لما حاورهم فيما أعدوا من الاعتذار لوفود العرب في موسم الحج إذا سألوهم عن هذا الرجل الذي ادعى النبوءة . وقد عرضوا عليه أن يقولوا : هو كاهن فكان من كلام الوليد أن قال " ... ولا وا ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه " قال تعالى (ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) . وكان الكهان يزعمون أن لهم شياطين تأتيهم بخبر السماء وهم كاذبون ويتفاوتون في الكذب .

والمراد بالحفظ من الشياطين الحفظ من استقرارها وتمكنها من السماوات . والشيطان تقدم في سورة البقرة .

والرجيم : المحقر لأن العرب كانوا إذا احتقروا أحدا حصبوه بالحصباء كقوله تعالى (قال

فاخرج منها فإنك رجيم) أي ذميم محقر .

كان وقد . العكس ويحتمل . الاشتقاق أصل هي قيل . الحجارة " الراء بضم " والرجام A E العرب يرجمون قبر أبي رغال الثقفي الذي كان دليل جيش الحبشة إلى مكة . قال جرير : .

إذا مات الفرزدق فارجموه ... كما ترمون قبر أبي رغال والرجم عادة قديمة حكاها القرآن عن قوم نوح (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) . وعن أبي إبراهيم (لئن لم تنته لأرجمنك) . وقال قوم شعيب (ولولا رهطك لرجمناك) .

وليس المراد به الرجم المذكور عقبه في قوله (فأتبعه شهاب مبين) لأن الاستثناء يمنع من ذلك في قوله (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) .

واستراق السمع : سرقته . صيغ وزن الافتعال للتكليف . ومعنى استراقه الاستماع بخفية من المتحدث كأن المستمع يسرق من المتكلم كلامه الذي يخفيه عنه .

و (أتبعه) بمعنى تبعه . والهمزة زائدة مثل همزة أبان بمعنى بان . وتقدم في قوله تعالى (فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) في سورة الأعراف .

والمبين : الظاهر البين .

وفيه تعليم لهم بان الشهب التي يشاهدونها متساقطة في السماء هي رجوم للشياطين المسترقة طردا لها عن استراق السمع كاملا فقد عرفوا ذلك من عهد الجاهلية ولم يعرفوا سببه .

والمقصود من منع الشياطين من ذلك منعهم الاطلاع على ما أراد ا عدم اطلاعهم عليه من أمر التكوين ونحوه ؛ مما لو ألقته الشياطين في علم أوليائهم لكان ذلك فسادا في الأرض . وربما استدرج ا الشياطين وأولياءهم فلم يمنع الشياطين من استراق شيء قليل يلقونه إلى الكهان فلما أراد ا عصمة الوحي منعهم من ذلك بتاتا فجعل للشهب قوة خرق التموجات التي تتلقى منها الشياطين المسترقون السمع وتمزيق تلك التدرجات الموصوفة في الحديث الصحيح